أصول العقائد

الاثني عشر

يتكفل البحث في مهمات الأصول العقائدية

عند الشيعة الامامية الاثني عشرية

ميثم العقيلي

تمهيد

إن وجوب العلم والمعرفة من الأمور التي يرشـــدنا العقل إليها بحكم القوة الذهنية التي أودعها الله تعالى فيه في التصـــرف وأدراك الأمور الواقعية ، والأوامر الدالة على وجوب المعرفة من قبل الشـــرع تكون أوامر ارشـــادية تأكيدية فكلنا نعلم ان مفاهيم الدين الإسلامي على قسمين :

(الأول) أصول الدين, كالتوحيد والعدل, والنبوة, والامامة, والمعاد, وغيرها.

(الثاني) فروع الدين, كالصـــلاة, والصـــوم, والخمس, والزكاة, والحج, وغيرها.

والكلام الآن على أصول الدين حيث توجد ثلاث علوم تبحث عنها, وهي :

1- علم الكلام .

2- علم الفلسفة .

3- علم العرفان .

وعلم الكلام يبحث بصورة خاصة عن العقائد الإسلامية, بينما علم الفلسفة أعم منه اذ يبحث عن الوجود ككل, بينما علم العرفان يختلف عن الكلام و الفلسفة من حيث الاستدلال اذ انه يعتمد على معرفة الأشياء بالحس والوجدان بينما علمي الكلام والفلسفة يعتمدان على الاستدلال العقلي .

والذي يهمنا في البحث هنا هو علم الكلام حيث يراد فهم أصول الدين من جهة كلامية, حيث قسم لنا سلفنا الصالح أصول الدين الى قسمين :

(الأول) أصول الإسلام وهي ثلاثة : التوحيد, و النبوة, و المعاد.

(الثاني) أصول المذهب, وهي اثنان: العدل, والإمامة.

وهذ الترتيب الخماسي لأصول الدين من أجل التوضيح, وإلا فتوجد أصول لم تُذكر فحاولنا بعد التوكل على الله ان نتكلم على أثني عشر أصلاً بأسلوب مبسط راجين من الله تعالى تقبل أعمالنا فانه نعم المولى ونعم النصير [1].

[1] اخترنا عدد الاثني عشر تيمنا بعدد المعصومين الاثني عشر من ائمة اهل البيت عليهم السلام.

تعريف - موضوع - فائدة - منهجية البحث

قبل الدخول في هذه الأصول الأثني عشر لابد من ذكر أمور أربعة :

(الأمر الأول) تعريف علن الكلام :

هو العلم الذي يبحث في العقائد الإسلامية والبرهنة على صحة هذه العقائد. وقد اختلف في وجه تسمية هذا العلم بهذا الاسم, فقد قيل: إنما سمي هذا العلم بعلم الكلام ؛ لأنه يمنح رواده القدرة على الكلام والاستدلال.

كما قيل: أن علماء هذا الفن كانوا يشرعون في كتبهم بكلمة " الكلام في كذا " وكانوا يكررونها.

كما أن لهذا العلم جملة من التسميات الأخرى تختلف باختلاف جهة البحث التي سمي من أجلها هذا العلم, ومنها:

1- علم أصول الدين, أي العلم الذي يبحث حول أصول الدين, أي القواعد والأساسات التي اعتمد عليها الدين مضافاً لفروعه.

2- علم التوحيد: أي العلم الذي يبحث فيه حول أبرز وأهم الأصول الاعتقادية, وهو أصل التوحيد, الذي ترجع إليه بالدقة والتحليل جميع الأصول الأُخر, فلو ثبت التوحيد كان بالإمكان الاستدلال على ثبوت العدل, والنبوة والإمامة والمعاد, وغيرها من الاعتقادات الراجعة إلى الخالق تعالى وتقدس.

3- علم الفقه الأكبر, أي العلم الذي يبحث في فهم وإدراك المعارف الإسلامية التي يشـــكل البحث عن المســـائل الاعتقادية وما تحويه من إثبات الخالق وصفاته وأسمائه لهو الفقه والبيان الأكبر.

4- علم النظر والاســـتدلال, أي العلم الذي حول طريقة إثبات المســـائل الاعتقادية تعتمد على الأدلة العقلية التي يكون مناطها النظر والاســـتدلال العقلي والبرهاني للبرهنة على صـــحة هذه الاعتقادات, حاله حال العلوم العقلية التي تعتمد على نفس هذا المضمون.

(الأمر الثاني) موضوعه :

موضـــوع علم الكلام هو الذات المقدســـة وذلك باقامة البراهين على أثبات وجوده وأفعاله وصفاته. لذا يُعد هذا العلم من اشرف العلوم لاحتضانه ذلك الإسلام اللامتناهي من الشرف .

(الأمر الثالث) فائدته :

الفائدة والغاية من هذا العلم هي صـــون العقائد الاســـلامية من الشـــبه والانحرافات التي تواجهها مما يســـاعد على توطئه النفس و رســـوخها و بقائها ثابته في عالم الايمان .

(الأمر الرابع) منهجة البحث :

تقدم ان منهجة البحث المتبعة في الاستدلال العقلي طريق يسلكه المتكلمون في أقامة البراهين ويسمى بـــــ(الدليل العقلي), وهناك طريق ثاني وهو (

الدليل النقلي) الذي يســـتفاد من القران الكريم والســـنة النبوية بعد القطع بحجيتها ســنداً أو دلالة, خاصــة بعد وقوع الدس والكذب والطعن في مذهب التشيع وتشويه وجهه الصحيح مع العلم ان هذا النحو من المطاعن لا يخدم الا اعداء الإســلام فمن الله نســتمد العون والســداد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

الأصل الأول

وجود الله

إن هذا الأصل هو الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها باقي الاعتقادات الأخر, وذلك لان التصــديق بالعقائد يبتني على معرفة خالق العقل وموجده . ويمكن الاستدلال على إثبات وجود الله تعالى تارة بدليل الفطرة, وأخرى بدليل العقل, وثالثة بالنقل, فهنا جهات ثلاثة:

الأولى: جهة الفطرة: معنى الفطرة ابتداء أصــل الخلقة, وهو دلالة الوجدان وقضاء الفطرة السليمة التي لا يشوبها شك ولا ارتياب في أن هناك توجهاً باطنياً بديهياً في داخل أعماق الإنســـان وغيره من الموجودات مقتضـــياً بالإقرار بوجود الخالق والصـــانع والمدبر لهذا الكون المترامي الأطراف, وهذا التوجه الارتكازي والمتسالم عليه مأخوذ في أصل خلقته التكوينية قبل أن يتم تكليفه في الحياة الدنيا, كما هو ظاهر قوله تعالى شـــأنه: (وَإِذْ أَخَذَ

رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [2].

ثم انه يمكن تقريب هذا الدليل الفطري بامتناع الصدفة او الطبيعة, ومحصله أن يقال: أن الصدفة تعني وجود الشئ مصادفة واتفاقاً كيفما كان واتفق ومن دون إمعان أو تدبير في الإيجاد, والطبيعة تعني مجموعة الظواهر الطبيعية المشاهدة بالعيان والحس الملموس. فإننا إذا لم نؤمن بوجود الصانع والخالق لهذا الكون العظيم بما فيه من الخليقة المنتظمة والمنسجمة – كما سيأتي -، فيلزم بذلك القول بأن المادة المحسوسة والملموسة بنحو الصدفة أو الطبيعة هي التي أوجدت وأثرت بنحو الفاعلية في هذا الوجود المنتظم والمنسجم, والحال أن هذا مردود بالوجدان وقضاء الفطرة السليمة بامتناع خالقية وصانعية هذه المادة الصماء والعمياء.

وأما دعوى عدم التصديق بخالقية الخالق غير المحسوس والملموس.

فمدفوعة: بعدة وجوه, ومنها بأن التسليم بخالقية أو صانعية الصدفة أو الطبيعة يلزم منه إنكار ما هو ضروري, وذلك لأن معنى المحسوس والملموس إن كان ما يرى بالعين المجردة أو المسلحة – المجهر – فيلزم منه إنكار الأصوات والروائح والحرارة والبرودة والألم والخشونة والنعومة وغيرها مما لا ترى بالعين. وإن كان المقصود من المحسوس والملموس

(2) النساء: 172. وسيأتي مزيد تفصيل في معنى الفاطر في بحث الأسماء تضاف إلى الفطرة.

مطلق ما تدركه الحواس, فيلزم منه إنكار الصفات والملكات النفسية من العلم والقدرة والحياة والعدالة والشجاعة والجود والبخل وغيرها

الثانية: جهة العقل, العقل لغةً يعني تعقل الأشياء وفهمها وإدراكها, وهو ضد الحمق وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه, وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان ويقال لفلان قلب عقول ولسان سؤول وقلب عقول فهم. ويمكن الاستدلال بدليل العقل على اثبات وجود الله عزوجل بعدة براهين, ومنها برهانان:

الأول: برهان النظم

النظم يعني: الانسجام والترتب والاتصال والترابط بين الأشياء, وهنا يعني الانسجام والترتب والتدبير فيما بين الظواهر الكونية والطبيعية المخلوقة, كما قال سبحانه: [اللهُ الّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ] (3). فمقتضى رفع السموات والاستواء على العرش وتسخير الشمس والقمر هو الجري وتدبير الأمر وتفصيل بين هذه الآيات الكاشف على الانسجام والترتب بين خلق هذه الأشياء الدال على وجود المسخر والمدبر والمفصل وذلك هو الله رب العالمين وأحسن الخالقين.

الثاني : برهان حدوث المادة:

---

(3) الرعد: 2.

الحدوث يعني التبدل والتغير من حالة إلى حالة بنحو الدوام والاستمرار المستلزم لفناء الحالة السابقة إلى حالة لاحقة وهكذا اللاحقة الى حالة أخرى, وهنا يعني فناء وانعدام المادة فيما بين الظواهر الكونية والطبيعية المخلوقة, كما قال عز اسمه: [مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ] (4). ويمكننا تقريب الاستدلال بهذا البرهان بأنه قد أثبتت التجربة العلمية والعملية نفاد وانعدام الطاقة الموجودة في مادة الظواهر الكونية والطبيعية باستمرار, فيثبت ذلك النفاد والانعدام أن وصف الوجود والتحقق لمادة هذه الظواهر وصف عرضي, أي لابد أن يكون للمادة بداية تبدأ منها, وهذا فرع الاحتياج إلى علة موجودة ومؤثرة في الخلق والصنع, وهو الله تعالى ذكره وعز اسمه.

الثالثة: جهة النقل: معنى النقل عبارة عن الكلام المقطوع الصدور من الوحي الإلهي إلى الناس عن طريق الأنبياء والرسل , قال سبحانه: [وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّ رجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ] (5). وقد تواترت الآيات والروايات على التصريح الذي لا يقبل التأويل بوجوده تعالى وتقدس, ومنها: ما دل على الإقرار والشهادة بالربوبية والملكية الحقة المطلقة من قبل المخلوقات, كما في قوله تعالى: [قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ

(4) النحل: 96.

(5) النحل: 43 .

مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَـــيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ] (6).

ومن الروايات ما دل على الســؤال الصــريح عن إثبات الخالق والصــانع, ومنها: سُــئل أمير المؤمنين ما الدليل على إثبات الصــانع ؟ قال: [ثلاثة أشـياء: تحويل الحال، وضـعف الأركان، ونقض الهمة] (7). فالمقصـود من هذه الأدلة الثلاثة أن ما عدا الله تعالى له ثلاثة كيفيات دالة على نقصــه وضــعفه بحيث لا يكون خالقاً وصــانعاً بتفصــيل تقدم في الدليل العقلي؛ أما تحويل الحال فالمراد منه ما تقدم من مرور الإنســان بمراحل تدريجية في أصل خلقته تقتضي تبدل حاله من حال على حال. وأما ضعف الأركان فالمراد منه عجز أعضــاء الإنســان عن الخلق. وأما نقض الهمة بهمة أعلى وأكمل وأتم منها.

الأصل الثاني

التوحيد

---

(6)المؤمنون: 85–89.

(7) جامع الأخبار ص38.

توجد معاني كثيرة للتوحيد تشترك بأنه تعالى واحد احد, ليس كمثله شيئ, سميع بصير, ليس بجسم, ولا صوره, ولا يوصف بشئ من صفات الخلق .

وبهذا التحديد القصير لحقيقة التوحيد الذي يقتضي تنزيهه سبحانه عما أثبته المشبهة الذين صوروه بالجسمية, ومناه:

- أنه جالس على عرشه لقوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [8].

- أن له يدين لقوله (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) [9].

- أن له عينين لقوله (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) [10].

- أن له وجها لقوله (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [11].

ويمكن الاستدلال على توحيد الله تعالى من جهتين:

الأولى: الجهة العقلية, وفيها برهانان:

الأول: برهان السبر والتقسيم:

ومحصله أن يقال: أنه لو افترضنا أن الله تعالى غير واحد بل متعدد, فلا يخلو الأمر فيهما من أحد ثلاثة: إمّا أن يكونا كلاهما قادرين على إقامة النظام – الأول -, أو يكونا كلاهما غير قادرين على إقامة النظام – الثاني -, أو يكونا كلاهما متفاوتين ومختلفين في القدرة على إقامة النظام. وعلى

---

[8] طه 5.

[9] المائدة 64.

[10] القمر 14.

[11] الرحمن 27.

الأول يلزم محذور اللغوية, وعلى الثاني محذور العبثية, وعلى الثالث محذور عدم القدرة للإله غير القادر, وأما الإله القادر فتثبت له الإلوهية والتوحيد, ويتم المطلوب.

الثاني: برهان الدفع:

ومحصله أن يقال: أنه بعد ثبوت الملازمة بين أن يكون الخالق والصانع واجب الوجود, وبين أن يكون قادراً وميهمناً على جميع الممكنات الحية بنحو أن تكون قدرته لها السلطنة على دفع جميع ما يضاده ويقابله بقول مطلق. فإن سلب القدرة على هذا الدفع نقصٌ، والنقص عليه محالٌ لاستلزامه خلف فرضية كونه واجب الوجود, ومعه فالشركة مندفعة بالبداهة، فتثبت الوحدة ونفي الشريك, ويتم المطلوب.

الثانية: الجهة النقلية:

وهي عبارة عن مجموعة من طوائف الآيات القرآنية والأحاديث السنتية الدالة على التوحيد, ومنها ما دل على الأمر بالتوحيد والربوبية ونفي الشريك والولد, ومنها: قوله سبحانه: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ). وهذه السورة من أعظم وأكبر الدلائل والبراهين على التوحيد, لأن ليس فيها إلا التوحيد, وفي الحديث أنها تسمى مع سورة الكافرون بـ(المقشقشتان)، لأنهما يبرئان من الشرك والنفاق.

يقال: تقشـــقش المريض من علته إذا أفاق وبرئ. وقشـــقشـــه: أبرأه، كما يقشقش الهناء الجرب[12].

ومنها: قوله تبارك وتعالى: (كَذَلِكَ أَرْسَـــلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـــنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) [13]. فإن الله ســـبحانه كما أرســـل الرســـل بالتوحيد كذلك أرسل رسولنا بالتوحيد ليكون آخر الرسل وأمته آخر الأمم وهو الله ربنا لا إله إلا هو عليه توكلنا وإليه رجوعنا وتوبتنا.

ومن تطبيقات التوحيد هو التوحيد في الصفات, فقد قسم المتكلمون الصفات الى تقسيمات ثلاثة:

التقســيم الأول: الصــفات الثبوتية والســلبية: وهذا التقســيم باعتبار إثبات الصـــفات المثبتة لجمال الموصـــوف من جهة, والنافية لنقص عن جمال الموصـوف من جهة أخرى؛ فإن كانت الصـفة مثبتة ومشـيرة إلى صـفات واقعية في ذاته المقدســـة مثبتة لصـــفات جمالية, فتســـمى هذه الصـــفات بـــــ(الصفات الجمالية) أو الثبوتية. ولهذه القسم تقسيم باعتبار توقف الذات على صــدور فعل وعدمه؛ فإن كانت الصــفة قائمة بذاته المقدســـة بحيث لا تتوقف على صــدور فعل بل يكفي في توصــيف الذات بها فرض نفس الذات بحيث لا تقبل السلب والإيجاب, فهذه الصفات تسمى بـــــ(الصفات الثبوتية

---

(12) مجمع البيان, سورة التوحيد.

(13) الرعد: 30.

الذاتية), كما في صفة العلم والقدرة والحياة وغيرها. وإن كانت الصفة قائمة بفعله بحيث تتوقف على صـــدور فعل يقبل الســـلب والإيجاب, فتســـمى بـــ(الصفات الثبوتية الفعلية), كما في صفة التكلم والخلق والرزق. وأما إذا كانت الصـفة مشـيرة ونافية لنقص واقعي في ذاته المقدســة فتســمى هذه الصفات بـــ(الصفات الجلالية) أو السلبية. كما في نفي الجسمية والتحيز والحركة والتغير. قال صـــدر المتألهين (قدس) في هذا التقســيم – الجمالية والجلالية -: [إن هذين الاصطلاحين الجمالية والجلالية قريبان مما ورد في الكتاب العزيز، قال سبحانه: [تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام]. فصفة الجلال ما جلت ذاته عن مشـابهة الغير، وصـفة الإكرام ما تكرمت ذاته بها وتجملت، فيوصف بالكمال وينزه بالجلال] [14]. وهو موافق لصفات الجلال ولكنه مخالف لصفات الجمال, والأمر سهل لعدم المشاحة في الاصطلاح.

التقسيم الثاني: الصفات الذاتية والخبرية: وهذا التقسيم باعتبار ما أخبر به القرآن الكريم عن وصـــف الله تعالى نفســـه بالعلو والتنزه عن اتصـــافه بالتجسيم والتشبيه كونه ذا وجهٍ أو يدٍ أو عينٍ وغيرها, فالصفات الثبوتية ما تقدم والخبرية هي التي أخبر بها الله تعالى عن نفســـه في كتابه العزيز, كالعرش والوجه واليد والعين.

التقســيم الثالث: الصــفات الحقيقية والإضــافية: وهذا التقســيم باعتبار ما اتصفت به الذات المقدسة حقيقة, فتسمى هذه الصفات بـ(الصفات الحقيقية), كما في صـــفة العلم والحياة والقدرة. وأما باعتبار ما اتصـــفت به الذات في

---

(14) الأسفار 6:116.

مقام الانتزاع, وذلك بملاحظة ما للناس من صـــفات فننسـبها إلى الذات المقدسـة, فتسـمى بـــــ(الصـفات الإضـافية), كما في صـفة القدرة والخلق والرزق.

الأصل الثالث

العدل

العدل في اللغة يأتي بمعنى العدل بالفتح مصـــدر عدل يعدل عادل معدول عدالة, وهو ما عادل الشئ في جنسه ولا ميل فيه أبداً, فيكون نقيضاً للجور الذي فيه ميل عن الشـــئ. وبالكســـر معناه المثل تقول: (عندي عِدْلُ غلامِك وعِدْلُ شاتِكَ) أي إذا كان الغلام يعدل غلاماً والشاة تعدل شاةً. والعادل إما أن يكون المقصود منه العدل الذي لا يميل عن الطريق والجادة المستقيمة التي هي فرع العدالة. أو يكون المقصـــود منه المشـــرك الذي يعدل عن طريق التوحيد الإلهي إلى طريق الشرك والإلحاد.

ثم أن ما عليه جميع المسلمين من الاعتقاد بعدل الله تعالى وأن العدل من الصفات الإلهية الجمالية كما دلت عليه الأدلة عقلية كانت أو نقلية على أساس أن العدل معتبر وأن الظلم على جميع أشكاله ومناشئه مما يتنزه أن تتصف به الذات المقدسة, ولهذا فإن جميع أفعاله تتسم بالعدل والحكمة. إلا أنهم اختلفوا في تفسير العدل الإلهي واختارت كل طائفة مذهب معين يتناسب مع ما اعتقدوا به بحسب الأدلة الواصلة إليهم فسمي القائلون بهذا الأصل بـ(العدلية) التي تقف الشيعة الامامية مع المعتزلة على قمة الهرم فيه, حيث أفردوا له أصلاً كأصل من أصول الدين والمذهب من مهمات الأمور بمكان على وجه يقتضي تنقيح مسائله لتتم به الحجة على الخصوم ودفع توهماتهم.

وعموما فبعد ان ثبتنا ان لله صفات ثبوتية تليق بذاته المقدسة أقتضى الامر ان تكون أفعاله حكيمة وعادله لا ان تكون أفعاله عبثيه ظالمة, ويمكن الاستدلال على ذلك بأدلة ثلاثة:

الدليل الأول: القرآن الكريم, ومنه آيات كثيرة ذات مضامين متعددة, ومنها ما دل على أن الله سبحانه لا يظلم أحداً وأنه يفعل الخير ويؤتي الحسنات ويضاعفها وأن الظلم إنما هو فعل العبد نفسه, ومنها قوله سبحانه وتعالى [15]:

-" ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ".

---

15 – آل عمران:182. النساء:40–49–79. الأعراف 27–28. التوبة:70. يونس:44. النساء:147.

- " إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَـنَةً يُضَـاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ".

- " وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً " .

- " مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً " .

- " إِنَّا جَعَلْنَا الشَّـيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَـةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَـاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ " .

الدليل الثاني: السنة, ومنه ما روي في الصحيح من طريق الصدوق رضي الله عنه في التوحيد والعيون أنّه قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا سعد بن عبد الله قال: حدّثنا أحمد بن محمّد ابن خالد البرقي عن أبيه عن سـليمان بن جعفر الجعفري عن أبي الحسن الرضا قال: ذكر عنده الجبر والتفويض فقال : " ألا أُعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا يخاصمكم عليه أحد إلاّ كسرتموه ؟ " . قلنا : إن رأيت ذلك . فقال : " إنّ الله عزّوجلّ لم يُطع بإكراه ، ولم يُعص بغلبة ، ولم يهمل العباد في ملكه ، هو المالك لما ملّكهم ، والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادّاً ، ولا منها مانعاً ، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه " . ثمّ قال ( ) : " من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه " .

وفي موضع آخر في حديث محمّد بن علي المكّي بإسناده قال : إنّ رجلاً قدم على النبي ( ) فقال له رسول الله ( ) : " أخبرني بأعجب شيء رأيت " ، قال : رأيت قوماً ينكحون أُمّهاتهم وبناتهم وأخواتهم فإذا قيل لهم : لِمَ تفعلون ذلك ؟ قالوا : قضاء الله تعالى علينا وقدره . فقال النبي ( ) : " سيكون من أُمّتي أقوام يقولون مثل مقالتهم ، أُولئك مجوس أُمّتي " [16].

الدليل الثالث: العقل, حيث إن حكم العقل يقتضي بالضرورة والبداهة عدله تبارك وتعالى وذلك بتقريب: أنّ الظلم والجور وفعل القبيح وترك الحسن وغيرها من النقائص يكون ناشئاً إمّا من العجز ، أو النقص ، أو الحقد ، أو البخل ، أو الحسد ، أو الجهل ، أو السفاهة ، أو الإحتياج .. وكلّها محال على الله تعالى لأنّه الغني بالذات والرؤوف في الصفات والعالم القدير والحكيم القويّ . فهو مستغن عن الظلم ، منزّه عن القبيح ، وجليل عن النقص . وقد ثبت في المنقول ودلّت العقول على عدالة الله تعالى في جميع أفعاله وأقواله وحكمه وصنعه ومخلوقاته كما ذهبت إليه الإمامية الحقّة . فهو الغني عن ظلمهم والمتفضّل باللطف إليهم . كما أنّ جميع أفعاله معلّلة بالحكمة والمصلحة وليست لعباً وعبثاً حتّى تخرج عن مسلك العدل ، لأنّه هو الحكيم العليم . على أنّ المصالح والمنافع في أفعاله راجعة إلى عباده ، وعائدة إلى خلقه فلا تقارن الظلم ، وهو المحسن الجواد ، والرحيم بالعباد ، والعادل في قضيّته وبريّته.

---

16 – التوحيد، للصدوق: 361 | 7. الكافي 1: 159. بحار الأنوار : (ج5 ص16 ب1 ح22, , 29, 62).

ثم انه نستطيع بيان جملة من ألطاف عدل الله تعالى وحكمته :

أولاً : جعل العقل مما ا له استقلالية على معرفة حسن و قبح بعض الاشياء من دون تدخل حكم الشـــرع كأســـتقلاليته بحكم الطاعة وفقا لحق المولوية فتكون طاعة الله واجبه وكذلك استقلاليته بالحكم على أستحالة صدور الافعال القبيحة من المولى وهذا مما يعرف بـ(التحسين و التقبيح العقليين) .

ثانياً : جعل الاختيار و القدرة في الافعال بيد الانســـان لكن مقدمات وجود الافعال كالادراك و الشـــوق و القدره بيد الله وفيه من الحكمة أذ بالاختيار يحصل الانسان على تكامله في ظرف القدرة الالهية. وهذا ما يعرف بـ(الامر بين امرين) أو (القضـــاء و القدر). فالذي جعل اختيارية الافعال لله هم الاشاعرة, ويسمون بـ(المجبرة) وكذلك كان مذهبهم في التحسين و التقبيح العقليين قالوا بان ما حسنه الشرع فهو حسن وما قبحه فهو قبيح و عُرف مذهبهم بـــ(التحسين و التقبيح الشرعيين) أما الذي جعل اختيارية الافعال للإنسان هم المعتزلة ويسمون بـ(المفوضة).

ثالثا: جعل التكاليف الشـــرعية مقدوراً عليها وفي ظرف عدم القدرة يســـقط التكاليف لأستحالة التكاليف بغير المقدور لأنه قبيح عقلاً و شرعاً.

رابعاً : جعل الاوامر و النواهي الالهية تابعة لملاكات ومصـــالح عائدة الى المكلفين فالاوامر تجلب المنفعة و النواهي تدفع المفســـدة فالملاك فيه مصـــلحه راجعة للعبد لا للمولى لكن المولى يلحظها عند جعل التكاليف الإلهية.

خامســـاً : وعد الله المطيعين لتلك التكاليف أعطائهم الثواب الجزيل والخلود في جنـات عدن تجري من تحتهـا الأنهـار، و أوعدهم عنـدمـا يخـالفون تلك التكـاليف يثيبهم العقـاب والـدخول بجهنم وقودهـا النـاس و الحجـارة أعدت للكافرين. ولكنـه بمقتضـــى العفو الالـهي يمكن ان يعفو عن العاصـــين لأن العقاب حق لله سبحانه وله أن يسقطه كما ورد عن أئمة اهل البيت (عليهم الســـلام) : (من وعده الله ثوابا على عمل فهو منجز له ، ومن أوعده على عمل عقابا فهة فيه بالخيار). وهذا ما يســـمى بـــــــ(الوعد الوعيد). اما المعتزلـه فذهبوا الى وجوب الوفاء عليـه تعالى بوعده ووعيده فيجب عليـه تعذيب العاصين و اعطاء المطيعين ما وعدهم به.

الاصل الرابع

النبوة

النبوة لغـة من النبـأ بمعنى الخبر والجمع أنبـاء, وإن لفلان نبـأ أي خبراً. واما في الاصـطلاح العقائدي فتارة تكون النبوة بمعنى الإخبار كونـها مأخوذة من النبـأ بمعنى الخبر, فيســـمى النبي نبيـاً من حيـث كونـه مخبراً عن الله سبحانه ومنبأً عنه. هذا الأول.

والثاني: أن تكون النبوة بمعنى الرفعة والشـــرفية كونها مأخوذة من النباوة أي الرِفعة فهو نبيّ بمعنى رفيع، والمعنى على هذا إن النبي ارتفع وشرف على سائر الخلق.

والثالث: أن تكون النبوة بمعنى الطريقة كونها مأخوذة من وظيفة النبي ومسؤليته الملقاة على عاتقه, فهو الطريق الموصل للهداية، ويقال للرسل أنبياء الله كونهم طرق الهداية إليه، فالنبوة بمعنى طريق الهداية.

هذا مع أنه لابد من الالتزام بأن النبي هو ذلك الإنسان المخبر عن الله تعالى ذكره بغير واسطة بشر، وإنما الواسطة بينه وبين الله سبحانه هو الوحي الإلهي أو الإلهام المباشر, كما قال سبحانه: [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ] (17) . والوحي يمثل الطريق الأهم في هذا المجال الذي يعتبر من الطرق الغيبية غير المادية التي تمثل نحواً من فيوضات رب العزة والجلال بمن أختارة لهذه المهمة العظيمة والشريفة التي لا ينالها الا ذو حظ عظيم.

وعموما فيمكن الاستدلال على ثبوت النبوة والأنبياء بالكتاب والسنة والعقل, وتفصيل هذه الادلة يأتي تباعا:

الدليل الأول : الكتاب الكريم:

وفيه آيات كثيرة ذات مداليل عديدة, ومنها ما دل على أن بعثة الأنبياء من قبل الله سبحانه من أجل الفصل في الخصومات وحل النزاعات الدائرة بينهم

---

(17) الشورى:51.

من خلال الرجوع إلى الكتب السـماوية. قال تعالى: [كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ] (18). من هنا قد جاءت كلمة النبوة في القرآن الكريم مقرونة بالكتاب والحكم تارة, كما في قوله سبحانه: [مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُـونَ] (19). فإن قلت : هل يستطيع الإنسان بمفرده إدراك هذه التكاليف الشرعية ؟.

الدليل الثاني: السنة:

وفيه روايات عديدة, ومنها:

الأولى: حديث أمير المؤمنين في نهج البلاغة, قال: [واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسـالة أمانتهم لمّا بدّل أكثرُخلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقّه، واتخذوا الانداد معه، واجتالتهم الشـياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث إليهم رسـله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسـيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة؛ من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضـوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم، ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة أو محجّة قائمة، رسل لا تقصر بهم

---

(18) البقرة 213.

(19) آل عمران:79.

قلّة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم، من سابق سُمّي له مَن بعده، أو غابر عرّفه من قبله. على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء، إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً رسول الله لِإنجاز عدتِه، وإتمام نبوّته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذٍ مللّ متفرّقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة؛ بين مشبّه لله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكان من الجهالة..] [20].

الدليل الثالث: العقل:

وفيه تقريبان:

التقريب الأول: أن قاعدة اللطف تقضي بإرسال الأنبياء ليقربوا العباد إلى الطاعة ويبعدوهم عن المعصية كون الأنبياء من العالمين بالثواب والعقاب ومواطن الطاعات المقربة والمعاصي المبعدة, لأن الغرض والحكمة في إيجاد الخلق هي المعرفة والعبادة، وذلك يتوقف على تعيين واسطة بين الحق والخلق يعلمهم ذلك، لإستحالة الإفاضة والإستفاضة بلا واسطة, إذ لا ربط ولا نسبة بين النور والظلمة حتى لا يحتاج إلى واسطة.

التقريب الثاني: إن العدل الإلهي يقتضي إرسال الأنبياء كطرق موصلة للهداية والصلاح, حيث يأبى هذا العدل الرباني أن يخلق الخلق بهذه الكثرة العظيمة والطبقات المختلفة، ثم يتركهم سدى من دون معلم أو دليل يدلهم

---

(20) نهج البلاغة: الخطبة: 1، وغيرها من الخطب أيضاً ففيها إشارات وذكر حول بعثة الأنبياء عليهم السلام.

على الطريق الصحيح, كما أن العقل يدرك بوضوح تام أنه تبارك وتقدس قد دل وأرشد كل شئ خلقه وصنعه بالمقدار المناسب له, والإنسان من هذه المخلوقات الممكنة بل أشرفها خلقة وتكويناً فكيف يمكن أن يترك الإنسان سدى في غواية وبلا هدى, لأن الإهمال والترك يستلزم خلاف الحكمة والعدل الإلهي. ولا يليق بهذا المنصب الجليل إلا من يختاره الله ويصطفيه، ويعلمه ويزكّيه بأعلى مراتب العلم والتزكية النفسية والروحية التي كمنت في شخوص أنبياء الله سبحانه وتعالى ورسله المبعوثين من قبله الذين جعلهم لعبادة قدوة وأسوة حسنة يقتدى بهم ويتأسوا بهديهم ونور فيضهم.

ثم انه يمكن أن يتعرف الفرد على صدق دعوة النبوة بعدة طرق, ومنها طرق ثلاثة:

الطريق الاول: تصريح النبي السابق الذي ثبتت نبوته بالأدلة القاطعة التي لا يشوبها شك على نبوة النبي اللاحق, كما صرح جملة من الأنبياء على نبوة الأنبياء الذين جاؤا بعدهم كتصريح النبيين موسى وعيسى بنبوة نبينا محمد عليه وآله السلام.

الطريق الثاني: المعاجز والكرامات التي تكون خارقة للعادة البشرية, فإن المتتبع لسيرة الأنبياء يجد أن دعواهم للنبوة قد اقترنت بأشياء خارقة للعادة أذهلت العقول وحيرتها بحيث أصبح لزاماً على كل شخص الإذعان والتصديق بصدق دعوة النبي.

الطريق الثالث: العصمة مطلقاً, سواء كانت من الذنوب صغيرها وكبيرها أم من الخطأ والنسيان والسهو, أم في التبليغ بالشرائع وغيرها, أم في الأفعال

والسيرة, فإن مَن كان معصوماً من كل ذلك بلطف من الله عز وجل وجب أن يكون رسولاً نبياً صديقاً ومصدقاً. وقد دل الدليل على عصمة الأنبياء من الكتاب والسنة: أما من الكتاب فمنه ما دل على أن الله سبحانه قد اصطفى نخبة مختارة من خلقه لتأدية رسالاته, كما في قوله تعالى ذكره: [إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ] (21).

وأما من السنة فهناك روايات كثيرة, وعمدتها ما رواه الصدوق في عيون الأخبار عن الإمام الرضا في مجلس المأمون العباسي لعنه الله وما دارت بينهما من مسائلة قدسألها العباسي تدور حول بعض الشبهات حول عصمة الأنبياء؛ باسناده إلى علي بن محمد بن الجهم قال : حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا فقال له المأمون: يا ابن رسول الله اليس من قولك إن الأنبياء معصومون ؟ قال : [بلى]، فما معنى قول الله عز وجل: [وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى] ؟. فقال : إن الله تبارك وتعالى قال لآدم : [اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ] واشار لهما إلى شجرة الحنطة (فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ) ولم يقل لهما ولا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة وانما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان اليهما. وقال: (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ) وانما نها كما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الاكل منها (إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) ولم يكن آدم وحوا

(21) آل عمران:33.

شـــاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا فد ليهما بغرور فاكلا منها ثقة بيمينه بالله وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير اســتحق به دخول النار، وانما كان من الصـــغاير الموهوبة التى تجوز على الانبياء قبل نزول الوحى عليهم، فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبيا كان معصوما لايذنب صغيرة ولاكبيرة، قال الله تبارك وتعالى : (وَعَصَـــى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) وقال عز وجل (إِنَّ اللّهَ اصْـــطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ). فقال له المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: (فلما اتاهما صـــالحاً جعلا له شـــركاء فيما اتاهما) ؟ فقال له الرضـــا : [إن حواء ولدت لادم خمس مأة بطن ذكراً وانثى وان آدم وحواء عاهدا الله عز وجل ودعواه وقالا: (لئن آتيتنا صـــالحاً لنكونن من الشـــاكرين فلما اتيهما صـــالحاً) من النســـل خلقاً ســـوياً بريئاً من الزمانه والعاهه وكان ما اتاهما صنفين صنفاً ذكراناً وصنفاً اناثا فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عز وجل قال الله تبارك وتعالى: (فتعالى الله عما يشـــركون) .]. فقال المأمون: اشـــهد انك ابن رســـول الله حقاً, فأخبرني عن قول الله عز وجل في حق إبراهيم : (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي) . فقال الرضـــا : [إن إبراهيم وقع الى ثلاثه أصـــناف صنف يعبد الزهره وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس وذلك حين خرج من الســـرب الذي اخفى فيه (فلما جن عليه الليل) فرأى الزهره قال: (هذا ربي) على الإنكار والاســـتخبار (فلما أفل) الكوكب (قال لا أحب الآفلين) لأن

الأفول من صفات المحدث لا من صفات القدم (فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي) على الإنكار والاستخبار: (فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) يقول: لو لم يهدني ربي لكنت من القوم الضالين فلما أصبح (ورأى الشمس بازغه هذا ربي هذا أكبر) من الزهره والقمر على الانكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار (فلما أفلت) قال للأصناف الثلاثه من عبدة الزهره والقمر والشمس: (يا قوم إني برئ مما تشركون إنى وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) وإنما أراد إبراهيم بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهره والقمر والشمس وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات والأرض وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله تعالى وآتاه كما قال الله عز وجل: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه)]. فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول إبراهيم : (رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي). قال الرضا : [إن الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم : أنى متخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته فوقع في نفس إبراهيم: انه ذلك الخليل فقال: (رب أرني كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) على الخلقة قال: (فخذ أربعه من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعياً وأعلم أن الله عزيز حكيم) فأخذ إبراهيم نسراً وطاووساً وبطاً وديكاً فقطعهن وخلطهن ثم جعل على كل جبل من

الجبل التي حوله وكانت عشره منهن جزء وجعل مناقيرهن بين أصابعه ثم دعاهن باسمائهن ووضع عنده حباً وماء فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان وجاء كل بدن حتى انضم رقبته ورأسه فخلى إبراهيم عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب وقلن: يا نبي الله أحييتنا أحياك الله فقال إبراهيم: بل الله يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير]. قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: (فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان) . قال الرضا : [إن موسى دخل مدينه من مدائن فرعون على حين غفله من أهلها وذلك بين المغرب والعشاء (فوجد فيها رجلين يقتتلان من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) فقضى موسى على العدو وبحكم الله تعالى ذكره (فوكزه) فمات (قال هذا من عمل الشيطان) يعنى الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى من قتله انه يعني الشيطان (عدو مضل مبين)]. فقال المأمون: فما معنى قول موسى (رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي) قال: [يقول: إنى وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة (فاغفر لي) أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بى فيقتلوني (فغفر له انه هو الغفور الرحيم) قال موسى : (رب بما انعمت علي) من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزه (فلن أكون ظهيراً للمجرمين) بل أجاهد سبيلك بهذه القوة حتى رضى (فأصبح) موسى في المدينة (خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) على آخر (قال

لـه موســـى انك لغوي مبين) قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم لأوذينك وأراد ان يبطش بـه: (فلمـا أراد ان يبطش بـالـذي هو عدو لهمـا) وهو من شيعته: (قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصـــلحين)]. قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحســـن فما معنى قول موســـى لفرعون: (فعلتها إذاً وانا من الضـالين) . قال الرضـا : [إن فرعون قال: لموسـى لما أتاه: (وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) بي (قال) موسى: (فعلتها إذاً وأنا من الضـــالين) عن الطريق بوقوعي إلى مدينـه من مدائنك (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسـلين) وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد : (ألم يجدك يتيماً فاوى) يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك النـاس (ووجدك ضـــالاً) يعنى عند قومك (فهدى) أي هديهم الى معرفتك (ووجدك عائلاً فأغنى) يقول: أغناك بأن جعل دعائك مستجاباً] قال المأمون: بارك الله فيك يا بن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل: (فلما جاء موسى لميقاتنـا وكلمـه ربـه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني) كيف يجوز ان يكون كلم الله موسـى بن عمران لا يعلم ان الله تبارك وتعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤيه حتى يسأله هذا السؤال ؟. قال الرضا : [إن كليم الله موسى بن عمران علم أن الله تعالى أعز أن يرى بالأبصـــار ولكنـه لما كلمـه الله عز وجل وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه فقالوا: (لن نؤمن لك) حتى نسـتمع كلامه كما سـمعت وكان القوم سـبعمأة

الف رجل فاختار منهم سبعين الفاً ثم اختار منهم سبعه آلاف ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربهم فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله تعالى: أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام لأن الله عز وجل أحدثه في الشجره وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا: (لن نؤمن لك) بأن هذا الذي سمعناه كلام الله: (حتى نرى الله جهرة) فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقةً فأخذتهم بظلمهم فماتوا فقال موسى: يا رب ما أقول لبني اسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم ؟! لإنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاه الله عز وجل إياك فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سئلت الله أن يريك ننظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته ؟ فقال موسى: يا قوم إن الله تعالى لا يرى بالأبصار ولا كيفيه له وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه فقالوا: (لن نؤمن لك) حتى تسأله فقال موسى: يا رب انك قد سمعت مقاله بني اسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله جل جلاله: يا موسى سلني ما سألوك فلن اؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى : (رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن أنظر الى الجبل فإن استقر مكانه) وهو يهوى (فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل) بآيه من آياته (جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك) يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي (وأنا أول المؤمنين) منهم بأنك لا تُرى.]. فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن فاخبرني عن قول

الله عز وجل: (ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه) فقال الرضـــا : [لقد همت بـه ولولا ان راى برهـان ربـه لهم بهـا كمـا همـت لكنـه كـان معصوما والمعصوم لا يهم بذنب ولا ياتيه ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق انـه قـال: همت بـان تفعل وهم بـان لا يفعل.]. فقال المـأمون: لله درك يـا أبـا الحسـن فاخبرني عن قول الله عز وجل: (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه) فقال الرضـــا : [ذاك يونس بن متى ذهب مغاضـــباً لقومه فظن بمعنى اســتيقن (ان لن نقدر عليه) أي لن نضــيق رزقه ومنه قوله عز وجل: (وأمـا إذا مـا ابتليـه فقدر عليـه رزقـه) أو ضـــيق وقتر (فنـادى في الظلمات) أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (ان لا اله إلا أنت ســبحانك انى كنت من الظالمين) بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني لـها في بطن الحوت فـاســـتجـاب الله ولـه وقـال عز وجـل: (فلولا انـه كـان من المســـبحين للبث في بطنـه الى يوم يبعثون)]. فقـال المـأمون: لله درك أبـا الحسـن فاخبرني عن قول الله عز وجل: (حتى إذا اسـتياس الرسـل وظنوا انـهم قد كذبوا جائـهم نصـــرنا) قال الرضـــا : [يقول الله عز وجل: (حتى إذا اســتيأس الرســل) من قومهم وظن قومهم ان الرســل قد كذبوا جاء الرســل نصـــرنا]. فقال المأمون: لله درك يا أبا الحســـن فاخبرني قول الله عز وجل: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) . قال الرضـــا : [لم يكن أحد عند مشركي أهل مكه اعظم ذنباً من رسول الله لانـهم كانوا يعبدون من دون الله

ثلاثمأة وســـتين صـــنما فلما جاءهم بالدعوه الى كلمه الاخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشـــئ عجاب وانطلق الملاء منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشئ يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة هذا إلا اختلاق) , فلما فتح الله عز وجل على نبيه مكة قال له يا محمد: (إنا فتحنا لك) مكة (فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) عند مشـــركي أهل مكه بدعائك الى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر لأن مشـركي مكة أسـلم بعضـهم وخرج بعضـهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه فصـــار ذنبه عندهم ذلك مغفوراً بظهوره عليهم.]. فقال المأمون: لله درك أبا الحســـن فاخبرني عن قول الله عز وجل: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) ؟. قال الرضا : [هذا مما نزل بإياك أعني واســمعي يا جاره , خاطب الله عز وجل بذلك نبيه وأراد به أمته وكذلك قوله: تعالى: (لئن اشـركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسـرين) , وقوله عز وجل: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شـــيئاً قليلاً)]. قال صـدقت يا بن رسـول الله فاخبرني عن قول الله عز وجل: (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمســـك زوجك واتق الله وتخفى نفســـك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشيه) . قال الرضا : [إن رسول الله قصد دار زيد بن حارثه بن شراحيل الكلبي في أمر أراده فرأى إمرأته تغتسل فقال لها: (ســبحان الذي خلقك). وإنما أراد بذلك تنزيه الباري عز وجل عن قول من زعم أن الملائكه بنات الله فقال الله عز وجل: (أفأصفاكم ربكم بالبنين

واتخذ من الملائكه إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً) فقال النبي: لما رآها تغتسل: (سبحان الذي خلقك أن يتخذ له ولداً يحتاج الى هذا التطهير والاغتسال). فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجئ رسول الله وقوله لها: سبحان الذي خلقك! فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسنها فجاء إلى النبي وقال له: يا رسول الله إن إمرأتى في خلقها سوء وإنى أريد طلاقها. فقال النبي : (أمسك عليك زوجك واتق الله).

وقد كان الله عز وجل عرفه عدد أزواجه وان تلك المرأة منهن فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد وخشى الناس أن يقولوا: إن محمداً يقول لمولاه: إن إمرأتك ستكون لي زوجة يعيبونه بذلك فأنزل الله عز وجل: (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه) يعنى بالإسلام (وأنعمت عليه) يعني بالعتق (أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ثم إن زيد بن حارثه طلقها واعتدت منه فزوجها الله عز وجل من نبيه محمد , وأنزل بذلك قرآناً فقال عز وجل: (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً). ثم علم الله عز وجل أن المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأنزل الله تعالى: (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له)]. فقال المأمون: لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله واوضحت لي ما كان ملتبساً علي فجزاك الله عن انبيائه وعن الإسلام خيراً [22].

---

(22) عيون أخبار الرضا ج1 ب15 ح1.

الأصل الخامس

الإمامة

الإمامة في اللغة من أم يأم بمعنى أَمًّا من باب قَتَلَ قَصْـدَهُ وَأَمَّمَهُ وَتَأَمَّمَهُ أيضاً قَصْدَهُ وَأَمَّهُ وَأَمَّ به إمَامَةً صَلَّى به إمَامًا. وفي الاصطلاح الامامة عبارة عن الرئاســة العامة على الناس من قبل شــخص الإمام الموجب لهدايتهم وايصالهم نحو الطاعة والانقياد لأوامره ونواهيه تعالى وتقدس.

وحكم الامامة أنها واجبة وفقا لقاعدة اللطف, وتقريبها: أن الإمامة لطف, وكل لطف واجب, فالإمامة واجبة، أما الكبرى فظاهرة ومتفق عليها وأما الصــغرى فبيانها: أن الداعي إلى فعل أكثر الطاعات واجتناب المعاصــي في أكثر الناس في كل وقت موقوف على وجود الإمام وغير ممكن الحصول من دونه، وهذه ضــرورية بعد تصــحيح أحوال الخلق والاطلاع على أخلاقهم وطبائعهم ولوازم أمزجتهم، وإذا كان فعل الطاعة غير ممكن بدون الداعي لاســتحالة الترجيح من غير مرجح والداعي غير ممكن من أكثر الناس إلا بوجود الإمام وجب أن يكون الإمام لطفاً من الطاف الله تعالى.

ثم انه يشترط في الإمام مجموعة من الشرائط المعتبرة ومنها, شرطان:

الشـــرط الأول: النص عليه, وهذا الشـــرط ثابت بمقتضـــى ما ســـيأتي من النصـوص القرآنية والسـنتية القاطعة. كما أن هناك إجماعاً على أن الانسـان لا يصير إماماً بمجرد أهليته وقابليته للإمامة.

الشـــرط الثاني: العصـــمة, ويمكن الاســـتدلال له الإمام تجب متابعته بمجرد قوله، وكل من كان كذلك كان واجب العصـــمة، فالإمام واجب العصـــمة. أما الكبرى: فلأنه لو لم يكن معصوماً لجاز أن يخطئ الحق ويرتكب خلافه ونحن لا نعرفه، فبتقدير ذلك منه وقد وجب اتباعه وجب علينا حينئذ ارتكاب ما نهينا عنه، وهذا خلف. وأما الصـغرى فلأن الدليل على وجوب متابعة الإمام وجهان:

الأول: أنـه لا نزاع في وجوب متـابعتـه على العـامي في الفتوى والحكم، ومتابعة من ينصـــبه لهما، وأن العالم والعامي يجب عليهما متابعته في ســـياســـته، وعدله وتوليته، وأمره ونهيه، وتنفيذه إلى الغزوات، وإقامة الحدود والتعزيرات. وأما أن ذلك بمجرد قوله فلأنه لو كان لأمر آخر ما كان فعلنا متابعة له، لأنا لا نوصـف بمتابعة اليهود مثلا في اعتقاد نبوة موســى ( )، وذلك ظاهر.

الثاني: أنه لو جاز خلافه لجاز إما في كل الأحكام أو في بعضـــها، والأول محال، لأن الأحكام الحقة لا يجوز خلافها، والثاني أيضـــا باطل، لأنا على تقدير أنا خالفناه في حكم جاز أن يكون ذلك الحكم في نفســـه حقا، وحينئذ يكون قد خالفنا الحق وإنه غير جائز. وبتقدير تسليمه فالمقصود حاصل لأن مقصودنا ليس إلا وجوب اتباعه في بعض الأحكام.

وعلى كل حال فهناك جملة من العناوين بنحو الكبرويات التي أشير إليها في النصوص والمقصود منها امامة الائمة الأطهار لابد من استعراضها في ضمن أمور:

الأمر الأول: الوصية من لدن آدم :

روى مقاتل بن سليمان عن أبي عبد الله ، قال: قال النبي : أنا سيد النبيين، ووصيي سيد الوصيين وأوصياؤه سادة الأوصياء. إن آدم سأل الله تعالى أن يجعل له وصياً صالحاً، فأوحى الله عزوجل إليه: إني أكرمت الأنبياء بالنبوة، ثم اخترت خلقي وجعلت خيارهم الأوصياء. فقال آدم : يا رب اجعل وصيي خير الأوصياء. فأوحى الله إليه: يا آدم، أوص إلى شيث فأوصى آدم إلى شيث، وهو هبة الله بن آدم. وأوصى شيث إلى ابنه شبان، وهو ابن نزلة الحوراء التي أنزلها الله على آدم من الجنة، فزوجها ابنه شيثاً. وأوصى شبان إلى مخلث. وأوصى مخلث إلى محوق. وأوصى محوق إلى عثميثا. وأوصى عثميثا إلى أخنوخ، وهو إدريس النبي . وأوصى إدريس إلى ناحور. ودفعها ناحور إلى نوح النبي . وأوصى نوح إلى سام. وأوصى سام إلى عثامر. وأوصى عثامر إلى برعثباشا. وأوصى برعثباشا إلى يافث. وأوصى يافث إلى بره. وأوصى بره إلى حفسه. وأوصى حفسه إلى عمران. ودفعها عمران إلى إبراهيم الخليل . وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل.

وأوصى إسماعيل إلى إسحاق. وأوصى إسحاق إلى يعقوب. وأوصى يعقوب إلى يوسف. وأوصى يوسف إلى بثريا. أوصى بثريا إلى شعيب. ودفعها شعيب إلى موسى بن عمران . وأوصى موسى إلى يوشع بن النون.

وأوصى يوشع إلى داود النبي. وأوصى داود إلى سليمان. وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا. وأوصى آصف إلى زكريا. ودفعها زكريا إلى عيسى بن مريم . وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا. وأوصى شمعون إلى

يحيى بن زكريا. وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر. وأوصى منذر إلى سليمة. وأوصى سليمة إلى برده. ثم قال رسول الله : ودفعها إلي برده. وأنا

أدفعها إليك يا علي. وأنت تدفعها إلى وصيك، ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحدا بعد واحد، حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك. ولتكفرن بك الأمة، ولتختلفن عليك اختلافاً كثيراً شديداً. الثابت عليك كالمقيم معي، والشاذ عنك في النار " والنار مثوى الكافرين"[23].

الامر الثاني: أن الامامة عهد من الله سبحانه ورسوله عليه وآله السلام : قال سبحانه: (وإذا ابتلى إبراهيم ربُّهُ بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قالَ ومن ذرّيتي قال لا ينالُ عهدي الظالمين) [24]. فكل من ظلم في حياته ولو ظلماً صغيراً لا يصلح للإمامة، وقد اتفقت الأمة على عدم النص

---

23 – من لا يحضره الفقيه 4:174, أمالي الصدوق 3:323, اكمال الدين 1:216, بحار الانوار 23:57. أمالي الطوسي 2:54, مشارق الأنوار ص 58, كفاية الاثر ص 147.

24 – البقرة:124.

على من ســـبق أمير المؤمنين وكفرهم بمـدة طويلـة وعلى كمـال أمير المؤمنين في كل مجال وكذا الأئمة من بعده, فتثبت امامتهم. ويدل عليها جملة من الأخبار ومنها [25]:

الامر الثالث: أن الله عزوجل خص آل محمد بالامامة دون غيرهم, روى بريد بن معاوية العجلي: عن أبي جعفر في قول الله تعالى: " أم يحســدون الناس على ما آتاهم الله من فضـله ". قال: فنحن المحسـودون على ما آتانا الله من الامامة، دون خلقه جميعاً، " فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ": فجعلنا منهم الرسل والأنبياء والائمة، فكيف يقرون به في آل ابراهيم، وينكرونه في آل محمد ؟ " فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً، إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً * والذين آمنوا وعملوا الصـالحات سـندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً "[26].

25 – علل الشرائع ص 171, إكمال الدين 1 / 231, بحار الأنوار 36:203.

26 – الآيات في سورة النساء: 54 – 57. الكافي 1 / 206, تفسير العياشي 1 / 247, البصائر ص 35.

الأمر الرابع: أن الأرض لا تخلو من حجة أو إمام, ومنه خبر أبي حمزة الثمالي، قال: قال الباقر : ما خلت الدنيا منذ خلق الله السماوات والأرض من إمام عدل إلى أن تقوم الساعة حجة لله فيها على خلقه [27].

الأمر الخامس: أهل البيت, ومنه حديث الكساء الشريف الوارد في آية التطهير, فعن طريق العامة ما رواه البخاري عن عائشة قالت: خرج النبي ( ) غداة غد وعليه مَرَط مرجّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثمّ جاء الحسين فدخل معه ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ثمّ جاء علي فأدخله ثمّ قال : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) [28].

الأمر السادس: سفينة نوح, ويدل عليها حديث السفينة, فقد روى ابو ذر الغفاري أن رسول الله عليه وآله السلام قال: (مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينه نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى). فإن سبب هذه

---

27 – إكمال الدين 6:202, بحار الأنوار 23:34, علل الشرائع ص205, عيون أخبار الرضا ص234, الكافي 1:165.

28– الحديث بطوله في مسند أحمد (1 : 331) طـ: الأولى والثانية (5 : 3062) ، وقد ذكر فيه ابن عباس عشر فضائل لعلي بن أبي طالب ، وأورده النسائي في خصائصه (ص : 11) ، والمحب الطبري في الرياض النضرة (2 : 269) ، ومجمع الزوائد للهيثمي (9 : 119) . مشكل الآثار للطحاوي (1 : 346) ، وتفسير الآية عند الطبري (22 : 6) ، ومسند أحمد (4 / 107) ، وقد هذب لفظه وحذف منه (فشتموه) و(وهذا الذي شتموه) ، ومجمع الزوائد (9 : 167) ، ومستدرك الحاكم (2 : 416 و3 : 147) ، وسنن البيهقي (2 : 152) ، وتفسير ابن كثير 3 / 484 ، وابن عساكر 5 / 1 / 16أ .

المعادلة والملازمة بين أهل البيت وبين سـفينه نوح واضـح وظاهر وهو كونهما السبيل الوحيد والمنحصر في الخلاص من الغرق في الطوفان الهائل والمصير الحتمي المشئوم الذي ينتظر البشرية لولا التمسك بهما.

الامر السـابع: امامة الاثني عشـر, حيث صـرح النبي بعدد خلفائه في حديث مشـهور رواه الفريقان تارة: (إن خلفائي على عدد نقباء بنى اسـرائيل اثنا عشر كلهم من قريش).

وأخرى: وفي صحيح البخاري: يقول جابر بن سمرة: سمعت رسول الله ( ) يقول (يكون اثنا عشـر أميراً) ثم قال كلمة لم اسـمعها. فقال أبي أنَّه قال: (كلّهم من قريش).

وثالثة في صـحيح مسـلم: قال جابر سـمعت رسـول الله ( ) يقول: (لاَ يَزالُ الأسْـلامُ عَزِيزاً الى اثنَي عَشَـر خليفَة) ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال ؟ فقال: (كلّهم من قريش).

ورابعة في مسـند أحمد عن عبد الله بن مسـعود، الصـحابي المعروف، أنَّه قال: سـئل رسـول الله ( ) بشـأن الخلفاء، فقال: (إثنا عشـر كعدة نقباء بني اسرئيل).

وخامسـة في كتاب منتخب الأثر هناك: مئتان وواحد وسـبعون حديثاً بهذا الشأن، معظمها منقول من كتب أهل السنة وسائر المصادر الشيعية.

الامر الثامن: الثقلان : ويدل عليه حديث الثقلين المشـــهور والوارد في مناســـبات وألفاظ مختلفة مع الاتحاد في المضـــمون والدلالة, وهو قوله :

(إنّي تركت فيكم الثقلان ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي: كتاب الله، حبل ممدود من الســـماء إلى الأرض؛ وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

وجاء في روايات أخرى تعبير (الخليفتين). وتضيف بعض المصادر التعبير بـــــ(علي مع القرآن والقرآن مع علي), كما عن ابن حجر في الصـــواعق المحرقة. وفي البعض الآخر تدل على الســلام عليه بإمرة المؤمنين, كما في خبر زيد بن الجهم الهلالي، عن أبي عبد الله قال: ســـمعته يقول: " لما نزلت ولاية علي بن أبي طالب وكان من قول رســـول الله : ســـلموا على علي بإمرة المؤمنين، فكان مما أكد الله عليهما في ذلك اليوم يا زيد قول رسول صلى الله عيله وآله لهما: قوماً فسلما عليه بإمرة المؤمنين فقالا أمن الله أو من رســـوله يا رســـول الله ؟ فقال لهما رســـول الله : من الله ومن رسوله. هذا من حيث التعبير ومن حيث المناسبة فذكر البعض أنه كان ذلك حجه الوداع في عرفه كما في رواية جابر الأنصـــاري. وفي المدينة في مرضـــه الذى توفى فيه، وفي غدير خم ولدى عودته من الطائف كما عن أم سلمة، ففي رواية (جابر بن عبد الله الأنصاري) نقرأ أنَّ رسول الله( ) قاله في يوم عرفة من أيّام الحج. وقال عبد الله بن حنطب) يقول أنَّه قاله في (الجحفة) وهو مكان بين مكة والمدينة حيث يحرم الحجاج منه. ويعلق ابن

حجر على تعدد هذه المناسبات بانه لا منافاه في ذلك في أن يكون النبي عليه وآله السلام قد كرر هذا المعنى لأهمية القرآن وعترته الطاهره[29].

الامر التاسع: التصريح بالأسماء, ويدل عليها الروايات المتواترة, ومنه ما ورد في تفسير قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [30]. حيث روى الشيخ الصدوق باسناده عن جابر الجعفي، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول لما انزل الله عز وجل على نبيه ( ) (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟ قال هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين بعدي، أولهم عليّ بن ابي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فاذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في ارضه وبقيته في عباده، ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته واوليائه غيبة لا يثبت فيها

---

[29] غيبة الطوسي: 98 والاحتجاج 1 / 395 . المحاسن 2 / 332 . غيبة النعماني ص27، واعلام الورى ص404 . دلائل الامامية ص68.

30 – النساء:59.

على القول بإمامته الا من امتحن الله قلبه للإيمان، قال فقال جابر : يا رسول الله فهل ينتفع الشيعة به في غيبته ؟ فقال ( ) اي والذي بعثني بالنبوة، انهم لينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وأن جلَّلها السحاب، يا جابر هذا مكنون سر الله ومخزون علمه فاكتمه الا عن أهله[31].

الأصل السادس

المعاد

المعاد في اللغة مصدر ميمي من عاد إليه يعود عَوْداً وعَودةً ومَعاداً، أي: رجع وصار إليه. وفي الاصطلاح لم يخرج المعنى الاصطلاحي عن اللغوي في الحقيقة إلا في بعض المشخصات, بمعنى أن المعاد يعني رجوع الشئ لكن تارة يؤخذ الوجود الثاني للجسم وإعادته بعد موته وتفرقه. وأخرى يؤخذ الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى

31 – وتفسير القمي: 578 . الاكمال 1 / 313 . العيون: 1 / 53 ح 35 . علل الشرائع 1 / 96 . بحار الأنوار 36 / 414 .

الاجتماع بعد التفرق، وإلى الحياة بعد الموت، ورجوع الأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة, فهنا أمران:

الأول: أن يكون لهذا الجسم أو البدن روح سواء كانت عبارة عن جسم ساٍر في البدن سريان النار في الفحم، والماء في الورد، فيكون المعاد بالنسبة للبدن والروح هو معاد جسماني، أم كانت الروح مجردة فيكون المعاد جسماني روحاني فتعود الروح إلى البدن بعد البعث.

الثاني: أن يكون الرجوع إلى حياة أخرى بالبعث والإحياء ثانياً والمصير إلى حياة سرمدية لا نهاية لها بعد أن تقدمت عليها الحياة الأولى التي طرأ عليها الفناء والزوال والانعدام والموت, سواء قلنا باستحالة عودة الأبدان بعد الموت لأن المعدوم لا يعاد عقلاً فيكون المعاد روحانياً, أم قلنا بامكان ذلك فيكون المعاد جسمانياً.

ويمكن الاستدلال على هذا الاصل بالكتاب والسنة والعقل, فهنا أدلة ثلاثة:

الدليل الاول: وهي آيات كثيرة واضحة الدلالة وساطعة الحجة وذات مضامين عالية وجليلة, فمنها وجداني وشهودي, ومنها ترغيبي وترهيبي, ومنها عقلي وتحليلي, فان الإمعان بالقدرة الإلهية والمشيئة الربانية يقتضي أن يكون بعث الأحياء بعد موتهم وفنائهم من تجليات هذه القدرة اللامتناهية التي استطالت كل شئ ووسعت كل شئ وليس كمثلها شئ. وتندرج في هذا المعنى آيات كثيرة, ومنها قوله تعالى:

- (فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [32].

- (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ) [33].

الدليل الثاني: السنة, وهي متواترة توجب القطع واليقين بضرورة هذا الأصل مضافاً لما فيها من دلالات ترغيبية وترهيبية تحث الإنسان على الاستزادة وطلب الكمال بطاعة الله سبحانه والعمل على نيل رضاه وحبه والكون بقربه والاجتناب من معاصيه وموبقاته ومسخطاته. ومنه ما جاء حديث جامع الأخبار: إن فاطمة صلوات الله عليها قالت لأبيها عليه وآله السلام: (يا أبت أخبرني كيف يكون الناس يوم القيامة ؟). قال : (يا فاطمة يشغلون فلا ينظر أحد إلى أحد، ولا والد إلى الولد ولا ولد إلى أُمّه). قالت : (هل يكون عليهم أكفان إذا خرجوا من القبور ؟). قال : (يا فاطمة تبلى الأكفان وتبقى الأبدان، تستر عورة المؤمن، وتبدى عورة الكافرين). قالت : (يا أبت ما يستر المؤمنين ؟). قال : (نور يتلألأ لا يبصرون أجسادهم من النور)، قالت : (يا أبت فأين ألقاك يوم القيامة)، قال : (انظري عند الميزان وأنا أُنادي : رب أرجح من شهد أن لا إله إلاّ الله، وانظري عند الدواوين إذا نشرت الصحف وأنا أُنادي : رب حاسب أُمّتي حساباً يسيراً، وانظري عند مقام شفاعتي على جسر جهنّم، كلّ إنسان يشتغل بنفسه وأنا مشتغل بأُمّتي

---

(32) الروم:50.

(33) الحج:7.

أُنادي : يارب سلّم أُمّتي، والنبيّون حولي ينادون : رب سلّم أُمّة محمّد).

وقال : (إنّ الله يحاسب كلّ خلق إلاّ من أشرك بالله فإنّه لا يحاسب ويؤمر به إلى النار) [34].

الدليل الثالث: العقل, وله عدة تقريبات, ومنها تقريبان:

التقريب الاول: الحكمة, إن الله تعالى حكيم في أفعاله، وكلّ ما يصدر منه جل وعلا في عالمي التكوين والتشريع يخضع لمبدأ الحكمة والهادفية، والحكيم لا يفعل العبث ولا يعتريه الباطل ولا يتجافى عن الحكمة, فلو لم يكن للإنسان معاد لكان خلقه عبثاً ولغواً، لأنه لو كان الإنسان ينعدم بالموت من دون أن تكون هناك نشأة أُخرى يعيش فيها بما له من سعادة أو شقاء لكان خلقه في هذا العالم عبثاً وباطلاً، لأن الفعل لا يخرج عن العبثية إلا إذا ترتّب عليه غاية وثمرة وفائدة عقلائية, وهي في المقام تتضح بأجلى صورها وأوضحها في وجود المعاد في يوم الدين، فيثبت المطلوب.

التقريب الثاني: القدرة, إن الله سبحانه قادر على فعل كل شئ وأن مقتضى قدرته اللامتناهية جواز تعلقها بكل شئ مقدور وتكون نسبتها في خلق الأشياء كبيرها وصغيرها كثيرها وقليلها على حد سواء, ومنها إعادة المعدوم بعد إيجاده وجمعه بعد تفريقه وحسابه بعد عمله, بل القادر على الإيجاد من العدم ابتداءً فهو على إعادة الموجود أقدر. كما أن القادر على

(34) بحار الأنوار ج7 ص110 ب5 ح41.

خلق العوالم العجيبة والغريبة كعالم خلق السـموات والأرض فهو على خلق عالم الآخر أقدر.

ثم ان هناك منازل وعوالم للمعاد ومنها ثلاثة:

المنزل الأول: الموت :

ويراد بـه قبض الروح أو انتزاعها بعد تعلقها بـالبدن لتنتقل إلى من عـالم الدنيا عالم آخر من قبل الله سـبحانه الذي أوكل مهمة قبض الأرواح إلى ملك الموت مع مجموعـة من الملائكـة الذين يـأتمرون بـأمره وينتهون بنهيـه ثم يتوفهـا الله سـبحـانـه عن طريق هؤلاء. والموت بهذا المعنى أول منـازل الطريق إلى المعاد، وأول مشـاهد النشـأة الآخرة التي يجب الاعتقاد به كونه من الأصـول الاعتقادية الثابتة بضـرورة الدين وقيام الأدلة الصـحيحة على أحقيته. كما أنه من العقبات المهولة والصعبة على الإنسـان في سلم عقبات وصـعوبات عالم الآخرة ولكنه على الرغم من شدته وقسـاوته على الإنسـان يعتبر من أهون وأيسـر تلك العقبات إذا ما قيس به. قال إمامنا الصـادق :

(إنّ بين الدنيا والآخرة ألف عقبةٍ، أهونها وأيسرها الموت).

المنزل الثاني: البرزخ :

البَرْزَخ في اللغة يعني الحاجز أو الحد بين شيئين.وفي الاصطلاح فلم يخرج المعنى اللغوي عن الاصـطلاحي إلا في حدود متعلق الاسـتعمال, ففي قوله سبحانه:

- (وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ).

- (بينهما بَرْزَخٌ لا يبغيان).

- (وجَعَلَ بينهما بَرْزَخاً) .

يعني حاجزاً من قدرة الله سبحانه وتعالى. وقيل أي حاجز خفي. وفي بعض الأخبار تفسير البرزخ برسول الله والبحرين بعلي وفاطمة واللؤلؤ والمرجان بالحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين.

وفي حديث الإمام الصادق في تفسيرها : (البرزخ : القبر، وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة).

وفي موضع آخر قوله في زيارة الميت أهله وثبوت الحياة له: (إنّ المؤمن ليزور أهله فيرى ما يُحب ويُستر عنه ما يكره، وانّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويُستر عنه ما يُحب، ومنهم من يزور كل جمعة، ومنهم من يزور على قدر عمله).

وكل ذلك فيه دلالة صريحة على أن هناك حياة متوسطة قد تسمى بـ(الحياة البرزخية) ما بين الحياة الدنيا وبين الحياة بعد البعث. أي أن هناك مانعاً وفترة زمنية ما بين الحياتين أو العالمَين غاية الأمر أن الحاجز يستعمل في الحوادث والمانع في المسافة الزمنية وقد يكون العكس والأمر سهلٌ.

وفي هذا العالم البرزخي قد دل الدليل على وجود العذاب أو الثواب الحاصل في القبر؛ أما من الكتاب فمنه قوله تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى). حيث ورد في تفسيرها عن أمير

المؤمنين قال أمير المؤمنين : (واعلموا أن المعيشة الضنك التي قالها تعالى : (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً) هي عذاب القبر)[35].

(الثاني) يوم القيامة, اي باعتبار اعادة الجسد بعد فنائه ورجوعه الى حالته الاولى. وورد ذلك في القران الكريم كقوله سبحانه:

وأما من السنة فهي متواترة وقد تقدم استعراض بعضها خصوصاً تلك التي فسرت البرزخ بالقبر, مضافاً للنبوي المشهور بين الفريقين وهو قوله : (القبر إما حفرة من حفر النيران، أو روضة من رياض الجنة). ومثله في الدلالة ما عن علي بن الحسين زين العابدين في قوله تعالى : (وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ). قال : (هو القبر، وإن لهم فيه لمعيشة ضنكاً، والله إن القبر لروضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران).

المنزل الثالث: الحساب :

الحساب لغة من العدد أو ما يعده الرجل من المناقب, أو من الشرف الثَّابِتُ لَهُ وَلِآبَائِهِ. وَقَوْلُهُ (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِحَسَبِهَا) أَحْوَجَ أَهْلَ الْعِلْمِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَسَبِ لِأَنَّهُ مِمَّا يُعْتَبَرُ فِي مَهْرِ الْمِثْلِ فَالْحَسَبُ الْفَعَالُ لَهُ وَلِآبَائِهِ مَأْخُوذٌ مِنْ

---

[35] هذا مع وجود قرينة تدل على أن المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر وشقاء الحياة البرزخية وهي ذكر الحشر بعدها معطوفاً بالواو الذي يقتضي المغايرة، ولا يجوز أن يراد به سوء الحال في الدنيا، لأن كثيراً من الكفار في الدنيا هم أحسن حالاً من المؤمنين، وفي معيشة طيبة لا ضنك فيها. قال الشيخ البهائي قدس سره: (ولا يجوز ان يراد به سوء الحال في الدنيا, لأن كثيراً من الكفار في الدنيا في معيشة طيبة هنيئة غير ضنك, والمؤمنون بالضد, كما ورد في الحديث : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر).

الْحِسَـــابِ وَهُوَ عَدُّ الْمَنَاقِبِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَفَاخَرُوا حَسَـــبَ كُلُّ وَاحِدٍ مَنَاقِبَهُ وَمَنَاقِبَ آبَائِهِ. وفي المقام هو أن يقوم الله عزوجل بحســـاب الناس على ما فعلوه وعملوه من أفعال وأعمال والجزاء عليها فيكون متعلق الحساب والعد هنا هو الأعمال من أجل الجزاء عليها. قال تعالى : (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم) [36].

وأما كيفية الحساب فله صور ومشاهد ورد ذكرها في لسان الأدلة حيث أول ما يســـتوقفنا هو أنه ســـبحانه وتقدس يخاطب عباده من الأولين والآخرين على كثرة عددهم بمجمل حساب عملهم مخاطبةً واحدةً يسمع منها كلّ واحد قضـــيته دون غيرها من دون أن يغادر منهم أحداً ولا يراه منهم أحداً في زمان واحد وساعة واحدة. ويدل عليه [37]:

أولاً: قال سبحانه : (وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ).

وثانياً: سئل أمير المؤمنين عليهالسلام : كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم ؟ فقال : (كما يرزقهم على كثرتهم). قيل : فكيف يحاســـبهم ولا يرونه ؟ قال : (كما يرزقهم ولا يرونه).

وثالثاً: عن الإمام الصـــادق في قوله تعالى : (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ). قال : (لو ولي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل ان يفرغوا، والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة).

---

(36) الغاشية:25–26.

(37) البقرة:202, نهج البلاغة ص528 ح300.

الفصل السابع

الاجتهاد والتقليد

فيما تقدم عُلم ان المعارف والمفاهيم الدينية بكلا نوعيها (الاصـــول و الفروع) موقف المكلف العملي باتجاهها يكون بتحصـــل الحجة اليقينية او التقليدية للخروج عن عهدة التكليف. لذا فان هذه الامور الدينية اذا كانت ثابتة بالقطع اليقيني, بمعنى عدم احتياج ادلتها الى اسـتدلال وامعان, فهنا لا يجب فيها التقليد, بمعنى رجوع الجاهل بها الى العالم بها, كالكثير من الضروريات كوجوب الصلاة, والصيام, والحج, وغيرها. واما اذا كانت هذه المعارف غير ثابتة بمعنى احتياجها الى استدلال وامعان نظر في الادلة الدالة عليها, فهنا يجب على المكلف حينئذ اللجوء الى احد الطريقين :

(الاول) الاجتهاد : وهو اســتنباط واســتخراج الأحكام الشــرعية من أدلتها التفصيلية من عناصر التشريع الاربعة من الكتاب والسنة والعقل والاجماع. والشخص العالم بهذه العملية الاستدلالية يسمى بـ(المجتهد).

والاجتهاد بهذا المعنى عبارة عن صـــورة يحفظ بها ديمومة واســـتمرارية تعاليم الدين بالمقدار الذي يواكب تطور الاحداث والمسـتحدثات التي تحصـل

مع مرور الزمان, فاذا عرضت على المكلف مسألة مستحدثه فمن اين ياخذ حكمه الشرعي ؟. ومن الذي يحدد وظيفة المكلف العملية ؟.

لذا فان الذين سـدوا واغلقوا باب الاجتهاد كما عن المخالفين من المذاهب الاسـلامية فانهم لم يفهموا هذه الفلسـفة التي يقوم عليها باب الاجتهاد والتقليد, واما الشـيعة الامامية الاثني عشـرية ففي راحة من ذلك, لانهم يقولون بضـرورة وجود شـخص متى ما تتوفر فيه شـرائط الاجتهاد جاز الرجوع اليه وأستفتائه في أية مسألة تعرض عليه.

(الثاني) التقليد : وهو العمل اعتماداً على فتوى المجتهد الجامع لشـرائط صحة التقليد المنصوص عليها في الفقه. واغلب الناس من هذا القبيل, وذلك لان عقلية الاجتهاد تتوقف على الكثير من العلوم التي لا تتهيئا الا لمن كان يملك من الكفاءة العقلية التي تؤهله للخوض في هذا المضمار فضلا من ان نيل هذه المرتبة تحصل وفق العناية الالهية, والتوفيق الرباني.

ويمكن الاستدلال على حجية الاجتهاد والتقليد بجملة من الأدلة, ومنها:

الدليل الأول: الكتاب الكريم, وفيه عدة آيات أوصـلها بعضـهم إلى السـتين ونيف منها قوله سبحانه:

- (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) [38].

[38] سورة التوبة/ 122.

- (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [39].

- (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) . سورة النحل/ 43.

فإن في هذه الآيات الكريمات دلالة واضحة على التقليد ففي الأولى دلالة على وجوب النفر للتفقه بالدين, والثانية إتباع الهادي إلى الحق, والثالثة سؤال أهل الذكر، وجميع ذلك يستلزم الرجوع إلى المجتهد وهو المصداق الأبرز من مصاديق الفقاهة والهداية وأهل الذكر والحكم بالعدل.

الدليل الثاني: السنة الشريفة, وفيها جملة من لأخبار, ومنها [40]:

- رواية عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما..... إلى أن قال: فان كل واحد اختار رجلاً من أصحابنا فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما واختلفا فيما حكما وكلاهما اختلفا في حديثكم فقال: الحكم ما حكم به واعد لهما وافقههما وأصدقهما في الحديث واورعهما..... الحديث.

- رواية عمر بن حنظلة ومنها قول أبي عبد الله عليه السلام: ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكما فاني قد جعلته حاكما. فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما

---

[39] سورة يونس/ 35.

[40] الوسائل ج18 كتاب القضاء أبواب صفات القاضي باب9 الحديث1,6,9,10.

استخف بحكم الله وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله....الحديث.

- رواية أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام يقول فيها: اجعلوا بينكم رجلا قد عرف حلالنا وحرامنا. فاني قد جعلته عليكم قاضيا. وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر.

- رواية عن محمد بن عثمان العمري يقول فيها: فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك ..... إلى أن قال: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله .

- رواية عن عبد المؤمن الأنصاري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن قوما يروون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: اختلاف أمتي رحمة. فقال: صدقوا: فقلت: ان كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب، قال: ليس حيث تذهب وذهبوا، إنما أراد قول الله عز وجل قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون. فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله فيتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم إنما أراد الاختلاف في البلدان لا اختلافاً في دين الله إنما الدين واحد.

الدليل الثالث: العقل, أي العقل الدال على جواز التقليد الداعي إلى وجوب رجوع الجاهل في شيء إذا احتاجه إلى العالم بذلك الشيء، فمن يريد بناء دارٍ ويجهل البناء يدعوه عقله إلى مراجعة البنَّاء والمهندس، وهكذا المريض يراجع الدكتور, وهكذا في سائر الحرف والصناعات بما فيهم

المكلف الذي وجب عليه طاعة الله سبحانه وتحصيل الأحكام للعمل بها فإنه يدعوه عقله إلى مراجعة العالم بالأحكام الشرعية.

الدليل الرابع: السيرة العقلائية, أي سيرة العقلاء الجارية على رجوع الجاهل على العالم الّتي استكشفنا إمضاءَها من عدم الردع عنها في الشريعة المقدسة.

الأصل الثامن

البداء

لقد وردت كلمة البداء في الكتاب والسنة؛ اما في الكتاب الكريم, كقوله جل شأنه: (وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) [41]. واما في السنة الشريفة, فمنها:

- قول الإمام الباقر عليه السلام: (ان الإقرار لله بالبداء من أفضل الطاعات) .

- قول الإمام الصادق عليه السلام: (ما نبئ نبي قط حتى يقر الله عزوجل بخمس : البداء، المشيئة، السجود، العبودية، الطاعة) .

---

[41] الزمر 47–48.

- قول الإمام الرضـــا عليه الســـلام: (ما بعث الله نبيا الا بتحريم الخمر والإقرار له بالبداء).

والبداء يأتي في عدة معاني منها :

- **الظهور والإبانة : وهذا المعنى مستفاد من الآيتين السابقتين, فيكون المعنى: ويظهر لهم.**
- **تغيير الإرادة تبعا لتغير العلم: وهذا معنى يلزم منه محذور باطل فيما اذا نسبناه الى الله, وهو تبدل إرادته وعدم احاطته بما كان وسيكون تعالى عن ذلك.**
- **تعليق أمر على أمر آخر : ومثاله صلة الرحم فقد ورد (أن من وصل رحمه مد الله في حياته وضاعف له الرزق), بمعنى ان الله جعل لصلة الرحم هذه الآثار الجيدة, فاذا فعل الإنسان هذا الأمر ترتب عليه أثره.**
- **الظهور : هو المراد لدى الامامية, ولا يلزم منه تبدل في إرادة الله. وتوجد لدينا شـــواهد على ذلك منها ما ذكره الله ســـبحانه في كتابه الكريم عن إبراهيم وولده إســـماعيل عليهما الســـلام حيث أوحى الله تعالى في منام إبراهيم أن يذبح ولده اسماعيل, ولما تهيئا لذبحه نهاه الله عن ذبحه بعدما استجاب الوالد والولد لامر الله, فارادة الله لم تتعلق بالذبح, وانما تعلقت بمقدمات الذبح, كأخذ الســـكين مثلا واما ابراهيم فقد ظهر (بدا) له غير ما كان يعتقده, وارادة المولى لم تتغير, لانه اراد ان يظهر للناس أطاعة العبد لأوامره.**

والبداء الذي تقدم معناه جائز على المولى في الامور التكوينية اما في الامور التشـــريعية فذهب علمائنا انه لا يجوز أمر المولى بعد علمه بأنتفاء شـرطة, ومثاله: لا يصـح للمولى ان يقول للمرأة صـل غداً مع علمه بأنها ستحيض.

الأصل التاسع

الشفاعة

الشفاعة في اللغة شَفَعَ شفعاً، الشيء صيّره شفعاً, أي زوجاً بأن يضيف إليه مثله، يقال كان وتراً فشفعهُ بآخر. وأما التعريف الاصطلاحي فإن الشفاعة عبارة عن الســـؤال او الدعاء أو الرجاء في التجاوز عن الذنوب من قبل المشفوع له بجعل الشفيع واسطة في هذا النحو من الطلب. ولقد جاءت كلمة الشفاعة في الكتاب والسنة؛ أما في الكتاب كقوله عز شأنه:

- (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) [42].

- (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) [43].

---

[42] طه 109.

[43] سبأ 23

- ولا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إلاّ مَنْ شَهِدَ بالحَقِّ وَهُم يَعْلَمُونَ [44].

واما مجيء الشفاعة في السنة فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [45]:

-(أدخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) .

- (خُيرّت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أُمتي الجنّة فأخترت الشفاعة لاَنّها أعم وأكفى أترونها للمتقين ؟ لا، ولكنّها للمذنبين الخطائين المتلوّثين) .

فاجمع في ضوء ذلك المسلمون على ثبوت أصل الشفاعة, وانها تقبل من رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنهم اختلفوا في تعيين المشفوع له. والحق ان النبي والائمة عليهم السلام وجميع عباد الصالحين يشفعون يوم القيامة لبعض المؤمنين ممن ارتكبوا بعض المخالفات بشرط صدور الاذن الالهي في حق المشفوع له. ولكن قد يشكل على ثبوت الشفاعة بجملة من الاشكالات, ومن بينها وجود بعض الآيات النافية للشفاعة, ومنها قوله تعالى:

- (لا بيعٌ فيه ولا خلّة ولا شفاعة) [46].

---

[44] الدخان 86.

[45] سنن ابن ماجة 2: 1441 | 4311. ومسند أحمد 6: 23 و24 و28.

[46] البقرة 254.

- (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) [47].

بل حتى الآيات المتقدمة فانها تقيد الشفاعة بقيود, كما في الاذن (إلا بِإِذْنِهِ), أو الرضى (إِلاّ لِمَنْ ارْتَضَى).

فيقال في الجواب: أن الآيات التي يُستدل بها على نفي الشفاعة فهي لا تنفي الشـــفاعة مطلقاً، بل أن هذه الآيات تنفي الشـــفاعة عن بعض الناس, هذا الأول.

والثاني: أن القيود الموجودة في حصول الشفاعة من جهة، وقبول الشفاعة من جهة أخرى، فإنّ ذلك لا يعني نفي الشـــفاعة, بل يؤكد وقوع واثبات الشفاعة على خلاف ما ادّعاه النافون من أنّ الشفاعة لا تنفع مطلقاً.

والثالث: أن جميع سـياقات الآيات النافية للشـفاعة تتحدث عن الخالدين في النار, والقائلون باثبات الشـــفاعة يســـتثنون هؤلاء الخالدين من المجرمين والمكذبين برسالات الله تعالى.

الأصل العاشر

الإحباط

وردت كلمة الاحباط في الكتاب, كمثل قوله تعالى:

---

[47] المدثر 48.

- (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [48].

- (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [49].

فالاحباط معناه هو ان يكون العمل المتأخر ماحيا للعمل المتقدم, فلو كان الإنسان قد عمل الصالحات وفعل معصية من المعاصي فان هذه المعصية تبطل جميع أعماله السابقة.

وكذا لو فعل الإنسان المعاصي وعمل حسنة, فأنها سوف تحبط أعماله الصالحة وهذا المعنى مما التزم به المعتزلة .

اما الاشاعرة فانكروا الاحباط وقالوا بان الإنسان لا يستحق على أفعاله شيئا, فأن أثابه الله فبفضله, وإن عاقبه فبعدله .

اما الحق في المسألة والذي عليه الشيعة الامامية فأنهم ينكرون الاحباط وفاقا مع الاشاعرة لكن ليس بنفس الاستدلال لوضوح ان جميع الاعمال التي يعملها الانسان يجدها يوم القيامة بكاملها خيرا كانت او شرا, ولا يذهب من هذه الأعمال شئ لا بالطاعات ولا بالمعاصي. ويدل ذلك جملة من الايات منها قوله تعالى:

-(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [50].

---

[48] البقرة 117.

[49] الزمر 65.

[50] الزلزلة 7–8.

- (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) [51].

واما الايتان التي وردتا في اول الكلام فانها مختصة بالمشركين, ومما لا شك فيه ولا شبهة أن الشرك يحبط جميع الاعمال الصالحة فضلا عن ان القول بالاحباط يلزم لوازم باطله, ومنها لازمان:

1- عدم الثواب على الطاعات.

2- نسبة الظلم الى الله, لان من عمل معصية واطاع وكانت معاصيه اكثر من طاعاته فانه يُنزل منزلة من لم يطع في حياته كلها .كما وان من كانت طاعته أكثر يُنزل منزلة من لم يعص, ومع التساوي بين فعل الطاعات والمعاصي ينزل منزلة من لم يفعل شيئا. وكل ذلك لا يمكن لأحد ان يلتزم به.

الأصل الحادي عشر

الجنة والنار

أتضح ان الحياة الدنيوية وسيلة لنيل الغاية وهي الحياة الأخروية الأبدية والوسيله مقدمة, و لغاية ذي المقدمة, فالمطلوب العمل والوصول للكمال

[51] آل عمران 30.

الحقيقي, فكانت الدنيا محفوفة بملذات وشـهوات لكنها فانية فيما اذا قيسـت بملذات الآخرة حيث لا عين رأت, ولا اذن سمعت, ولا خطر بقلب يستر .

ومن هنا كانت الحياة الأخروية هي السـعادة الحقيقة الأبدية للإنسـان الذي يجعل أعماله طاعة لله سـبحانه, فينال بذلك الجنة. اما الذي ينحرف على الجادة ويتبع خطوات الشيطان فسينال نار جهنم وساءت مصيرا، والسؤال المطروح في مباحث العقيدة هو أن الجنة والنار مخلوقتان الآن, او انهما تخلقان يوم يحشر الله الناس للجزاء ؟.

فذهب المعتزلة الى انهما سـيخلقان يوم القيامة, وذلك لعدم الفائدة من خلقهما قبل ذلك اليوم, واستدلوا ببعض الآيات منها قوله عز اسمه: (وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) [52]. وذلك بتقريب: استحالة تصور السموات و الارض كونهما عرضا للجنة والنار الا بعد فناء العالم كله, فيثبت عدم خلق الجنة والنار الآن.

ولكن هذا الاستدلال غير تام ضرورة أن الآية في مقام التشبيه, والمراد أن عرض الجنة والنار كعرض السموات والأرض, وليس المراد من السموات والأرض عرضا للحنة والنار.

اما الشـيعة الامامية فقالوا بأن الجنة و النار مخلوقتان, والدال على ذلك نصوص من القران والسنة؛ اما من القران فمنها ما دل على:

---

[52] آل عمران 133.

أولا: أن ادم وحواء قد سكنا الجنة, كقوله تعالى: (وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) [53].

وثانيا: أن الجنة والنار معدودتان للمطيعين والعاصين في الزمن الماضي, كقوله تعالى:

-(أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [54].

- (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [55].

واما من السنة, فمنه (56):

-حديث الهروي قال : قلت للرضا : يا بن رسول الله أخبرني عن الجنّة والنار أهما اليوم مخلوقتان ؟ فقال : (نعم، وإنّ رسول الله قد دخل الجنّة ورأى النار لمّا عرج به إلى السماء) قال : فقلت له : فإنّ قوماً يقولون : إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين . فقال : (ما أُولئك منّا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنّة والنار فقد كذّب النبي وكذّبنا وليس من ولايتنا على شيء، وخلّد في نار جهنّم، قال

---

[53] الأعراف 19.

[54] آل عمران 133.

[55] البقرة 24.

(56) بحار الأنوار : ج8 ص119 ب23 ح6. الاحتجاج للطبرسي ص 222.

الله عزّوجـلّ : " هَـذِهِ جَهَـنَّمُ الَّتِـي يُكَـذِّبُ بِهَـا الْمُجْرِمُـونَ * يَطُوفُـونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيم آن ").

- روى الكشـي فـي رجالـه وقـد قيـل للإمـام الرضـا إن فلانـاً يـزعم أن الجنة لم تخلق ؟ فقال : (ما له لعنه الله، كذب، فأين جنة آدم).

الأصل الثاني عشر

التقية

وردت التقية في الكتاب والسنة:

- قوله تعالى: (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) [57].

- قوله تعالى (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَـــدًّا) [58].

فورد عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هو التقية.

---

[57] آل عمران 23. وفي بعض القراءات (الا ان تتقوا منهم تقية).

[58] الكهف 94.

- قوله تعالى: (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) [59]. فعن المفضل سألت الصادق عليه السلام قال : التقية .

- قول الإمام الباقر عليه السلام: (التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له) [60].

- قول الإمام الصادق عليه السلام: (كان أبي يقول: يا بني ما خلق الله شيئا أقر لعين أبيك من التقية) [61].

فالتقية معناها الحذر والوقاية من اي ضرر فهي امر عقلائي, فان الناس كلهم يعملون بها بمختلف أديانهم ومجتمعاتهم وليس من حق احد ان يعترض على من يعمل بالتقية غاية الأمر ان قادتنا المعصومين عليهم السلام أمرونا أن نعمل بالتقية, والحكمة من ذلك هو توحيد الكلمة بين المسلمين مضافا الى المحافظة على المؤمنين الذين تمسكوا بولائهم لأهل البيت عليهم السلام.

ولكن قد يرتفع موضوع التقية فتصبح محرمة أو مكروهة أو مستحبة أو مباحة بعد ان كانت واجبة, وذلك بحسب الظروف التي يمر بها الفرد والذي يدل على ذلك جملة من الروايات, ومنها ما جاء أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام دعا ميثم التمار عليه الرضوان وقال له : (كيف أنت يا ميثم اذا دعاك دعي بني اميه عبيد الله بن زياد الى البراءة مني). فقلت : يا أمير

---

[59] الكهف 95.

[60] مشكاة الانوار ص39.

[61] مشكاة الانوار ص31.

المؤمنين انا والله لا ابرأ منك ، قال: (اذن والله يقتلك ويصـــلبك). قلت : أصبر فذاك في الله قليل ، فقال : (يا ميثم اذن تكون في درجتي) [62].

وفي عصــرنا الحاضــر عصــر الغيبة الكبرى فقد جاء في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: (لا دين لمن لا ورع له, ولا إيمان لمن لا تقية له، وان أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية). قيل : يا ابن رســـول الله إلى متى ؟. قال : (إلى قيام القائم فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا) [63]. وهذا فيه مصلحة كبيرة لتحقق الغرض الإلهي من نشر العدل والقسط في الأرض وذلك لبقاء النخبة الممحصين لنصرة مولانا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشــريف, إذ لو كان الأمر بالتقية غير موجود لكان من الواجب على المؤمنين الجهاد في ســـبيل الله تعالى, ومن ثم قتلهم. وبذلك يكون تشريع التقية ضرورة تحفظ بها العدالة الإلهية في العالم كله, وتنكسر بذلك شوكة المستعمرين الذين يتربصون بديننا المكائد والدسائس, وهم على يقين من ظهور ذلك المصلح الإلهي الذي يملاء الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً, جعلنا الله وإياكم من أتباعه وأنصاره, والمستشهدين بين يديه.

انتهى بفضل الله

---

[62] مستدرك الوسائل: 12 / 258.

[63] علام الورى: 408.